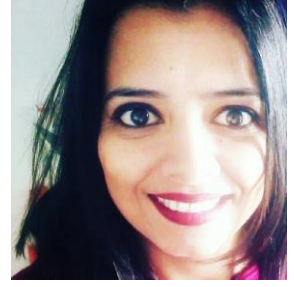


رحلة عبر الزمان و المكان : وليلي، زرهون و مكناس، 12-14 يناير 2018



بقلم : شافية شايب

عندما توصلت ببرنامج رندوبيديا لشهر يناير بخصوص رحلة مولاي إدريس زرهون - وليلي كان من المستبعد جدا أن لا أشارك و إن كنت أعمل في آخر نقطة من هذا البلد الحبيب. كيف لا أشارك و أول تجربة لي في المشي الجبلي كانت في هذه المنطقة بالذات مع رندوبيديا و مع المنظمين حنان و سفيان اللذان احتفظت بإسمايهما و لطفهما في الذاكرة رغم مرور أكثر من سنتين.

إكتشاف منطقة جديدة أمر مدهش دائما، و إعادة إكتشاف ما أسعدنا يوما ما , أمر أكثر إدهاشا. بدأت الرحلة محملة بالكثير من الذكريات و من التخوف أيضا ، ففي ذاكرتي الرحلة الأولى كانت مضنية نوعا ما, لكن الذاكرة (و لحسن الحظ) إحتفظت أيضا بجمالية الأماكن من فندق و مناظر طبيعية و غيرها. بعد التعرف على المشاركين الذين كان أغلبهم ممن تشاركت معهم رحلات سابقة ، توجهنا صوب مدينة مكناس تحت إشراف السي أحمد بروحه المرححة و سعة صدره بمطعم على أطراف مدينة مكناس, و بإيتسامة كما تلك التي حفظت في الذاكرة, استقبلنا كل من حنان و سفيان منظما الرحلة ، كان عشاؤنا طبق "مدفونة" ساخنا و شهيا خصوصا مع لسعة البرد و تعب الطريق. بعد التزود بما يلزم من طاقة و دفء أَقَلَّنا الحافلة صوب فندقنا حيث المبيت مع إستيقاظنا صباحا لفتت رفيقتي في الغرفة إنتباهي للمنظر الخلاب الذي تطل عليه شرفتنا ، حقول و خضرة و سماء تختلط زرققتها ببعض الغيوم ، و على مد البصر تبدو لنا وليلي بأطلالها و أعمدتها ! منظر كفيل بأن ينسينا كل تعب و زحام المدن , المنظر ذاته الذي جعلني أحب المكان في رحلتي الأولى. بعد الإفطار توجهنا جميعا صوب مدينة "مولاي إدريس زرهون" حيث البداية ، مرة أخرى المشهد ذاته ! طرقات موحلة بعد المطر ، باعة و تجار يعرضون سلعهم البسيطة على جنبات الطريق ... بدأنا المشوار صعودا من نقطة مختلفة عن المرة السابقة و أقل صعوبة شيئا ما، منحنا الصعود على مشقته فرصة مشاهدة القنوات المائية الرومانية الأثرية كانت مشاهدتها من بعيد كقيلة بإحياء ذكرى المرة السابقة حيث عبرناها بمساعدة من رافقونا في ذلك الوقت ، لم يكن من الممكن عدم إلتقاط صورة للأمير الصغير.



فجمالية القنوت لا يضاهيها سوى سحر الطبيعة المحيطة ، واصلنا سيرنا بين صعود و نزول لنعيش بشكل عملي الدورة الطبيعية للحياة , حيث لا إنحدار دون ارتقاء يليه , و لا صعوبات إلا و أنت بعدها لحظات هنية ... ما بين صعودنا و النزول كان الوصول نحو وجهتنا أمرا حتميا لكن الأهم كان الطريق ، الطريق الذي كانت وعورته تذوب خلال لحظات الإستراحة القصيرة التي تستجمع فيها الأنفاس ، يروى فيها الظمأ ، لنواصل ... منحتنا الطرقات الموحلة التي سلكنها تلك الرائحة الطرية للأرض بعد المطر ، و كان تركيز إنتباهنا على الخطوات خوف السقوط إنزلاقا، كفيلا بسحبنا بعيدا عن همومنا و عن أفكارنا الإعتيادية ، لنعيش اللحظة كما ينبغي لها أن تعاش، دون كثير تخطيط لما هو آت و دون اجترار ما مضى ... على سطح إحدى المرتفعات تناولنا وجبة الغداء التي كانت شهية جدا لأنها مستحقة ! بعد أن تزودنا بما يكفي من الطاقة واصلنا سلك تلك الطرق الملتوية التي منحتنا فرصة مشاهدة الكثير من المناظر الخلابة و اللوحات البانورامية من أعلى ... بعد الوصول توجه أغلبنا بما تبقى لديه من جهد صوب مدينة ويلي بأثارها التي تتحدى الزمن ، تلك الأثار التي تحدث عن مروا بها من ملوك و شعوب ، بينما تتبع أغلب المشاركين شرح الدليل المتحمس، أخترت و بعض المشاركين التجول بحرية بين الأطلال التي صمدت و لم يصمد صانعوها ، كانت فكرة الحياة القصيرة هي بمثابة المحرك للعيش بشكل أفضل، و إنتقاط الأجمال مما يتوفر، دون إفتعال الكثير من المشاكل و الحروب، ففي النهاية أنا أمر ليس إلا ... كانت الجولة فرصة للبعض لتعلم التاريخ، و لم أستطع منع نفسي من جعلها فرصة للتأمل... في الحياة.



بعد زيارة ما تبقى من " وليلي " عدنا لفندقنا حيث كانت لحظة خلع أحذية المشي من لحظات السعادة الكبرى (: وحده التعب جعلنا نحس بأقدامنا! تلك التي تحملنا بشكل يومي دون أن نحس يوما بالإمتنان نحوها، كعادتنا تجاه كل تلك الأشياء الجميلة التي نملك. كانت المياه الساخنة فرصة أخرى للإحساس بطعم السعادة هي و ذلك الألم في أغلب عضلاتنا التي ركنت للسكون أسابيع قبل أن نوظفها و نسلمها للتعب الجميل

...

بدأنا ليلتنا بوجبة عشاء ساخنة أعادت لنا الدفء ، بعد العشاء مباشرة غادرت فاليوم كان طويلا جدا ، إنتز عني من دفاء أخطيتي إتصال " مولاي أحمد" يدعوني للعودة لوضع دقائق ، لم أفكر بالأمر كثيرا و إتحتت بقاعة السهرة لأفاجأ بإحتفال بعيد ميلادي، في لحظاتٍ مُنحِتُ من الحب و من الذكريات الجميلة ما يكفيني كزاد لسنة كاملة . كل الإمتنان لجمال، أحمد، سفيان و حنان على تنظيمهم للمفاجأة الجميلة و كل الإمتنان أيضا لكل المشاركين على ما غمروني به من حب و مشاعر جميلة (:



صبيحة الأحد حملتنا صوب ضريح مولاي إدريس في زيارة خفيفة لتفقد المكان و الإستماع بجمال عمارته ، بعدها قصدنا المدينة الإسماعيلية ، حيث رافقنا دليل أدهشه أن هنالك من المغاربة من يهتم بإكتشاف بلده موازاة مع إكتشاف بلدان أخرى ، خلال تلك الصبيحة نقلنا بحدیثة الشیق صوب أزمنة مضت لم تكن بسهولة زماننا ، ما بين معالم و قنوات مياه تنم عن عبقریة من بنوها تجولنا مرورا بمخازن الحبوب و إسطبلات خيول المولى إسماعيل و بسجنه الرهيب بما تبقى من معالمه ... أخذتنا الزيارة بعد ذلك صوب السوق التقليدي للمدينة حيث تعرض خيراتنا للراغبين و بعد أن تزود أغلبنا بما إشتهى من نعناع و زيتون و غيرهما توجهنا نحو الحافلة التي أخذنا صوب أخر محطة حيث تناولنا وجبة غدائنا التي ودعنا بعدها حنان (التي تحمل من إسمها الكثير) و سفیان اللذان سهرا على راحتنا ليومين كاملين دون أن تفارقهما الإبتسامة و لا روحهما الطيبة و لو للحظة ... أفلتنا الحافلة صوب الرباط لنفارق بعضنا مع الكثير من الوعود بقاء قريب ...



مرة أخرى شكرا روندوبيديا ، شكرا مولاي أحمد على سعة الصدر و على الروح المرحبة ، شكرا جمال و أنس على التنظيم و لو من بعيد ، شكرا حنان و سفيان بفضلكما بدأت المغامرة منذ سنوات و ما زلت مستمرة ، شكرا لكل المشاركين على الأجواء الرائعة التي لن تنسى ...
و إلى تحليق قريب